عليه السلام وقد ذكر الله تعالى قصتهم في سورة الشعراء والايكة الشجر المتكاثف
وقيل الشجر الملتف وقال ابن عباس هي شجر المقل وقال الكلبي الايكة الغيضة
اي غيضة شجر بقرب مدين لظالمين اي عريقين في الظلم بتكذيبهم شعيبا
عليه السلام فانتقمنا منهم اي بسبب ذلك قال المفسرون اشتد الحر
فيهم اياما ثم اضطرم عليهم المكان نارا فهلكوا عن آخرهم وقوله تعالى وانهما
فيه قولان الاول المراد قري قوم لوط والايكة والقول الثاني ان الضمير للايكة
ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء ضميرها لبامام اي
طريق مبين اي واضح والامام اسم لما يؤتم به قال الفراء انما جعل الطريق اماما
لانه يؤم ويتبع وقال ابن قتيبة لان المسافر يأتم به حتى يصل الى الموضع الذي
يريده ثم ذكر تعالى القصة الرابعة وهي قصة صالح عليه السلام بقوله تعالى
ولقد كذب اصحاب الحجر وهم ثمود قوم صالح عليه السلام وديارهم بين المدينة
الشريفة والشام المرسلين اي كلهم بتكذيب رسولهم كما كذب هؤلاء المرسلين
بتكذيبك لان الرسل يشهد بعضهم لبعض بالصدق فمن كذب واحدا منهم
فقد كذب الجميع وهم في اثبات الرسل والمعجزة على حد سواء ثم اتبع ذلك قوله تعالى
وآتيناهم بما لنا من العظمة والقدرة على يد رسولهم صالح عليه السلام آياتنا
اي آيات الكتاب المنزل على نبيهم او معجزات كالناقة وكان فيها آيات كثيرة كخروجها
من الصخرة وعظيم خلقها وقرب ولادها وغزارة لبنها وانما اضاف الآيات اليهم
وان كانت لنبيهم صالح عليه السلام لانه مرسل من ربهم اليهم بهذه الآيات
فكانوا عنها اي الآيات معرضين اي تاركينها غير ملتفتين اليها لانهم لا
يتفكرون فيها ثم اخبر تعالى عنهم انهم كانوا مثل هؤلاء في الامن من العذاب
والغفلة عما يراد بهم مع انهم كانوا اشد منهم فقال تعالى وكانوا ينحتون والنحت
قلع جزء بعد جزء من الجسم على سبيل المسح من الجبال اي التي تقدم انا جعلناها
رواسي بيوتا آمنين عليها من الانهدام ونقب اللصوص وتخريب الاعداء
لوثاقتها لا لبيوتكم التي لا بقاء لها على ادنى رجفة وقرأ ورش وابو عمرو وحفص
برفع الباء والباقون بكسرها فاخذتهم الصيحة اي صيحة العذاب مصبحين
اي وقت الصبح فما اغنى اي دفع عنهم الضر والبلاء ما كانوا يكسبون اي
يعملون من بناء البيوت الوثيقة واستكثار الاموال والعدد وعن جابر رضي
الله عنه مررنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن
الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء
ثم زجر رسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها ولما ذكر تعالى
هذه القصص تسلية لنبيه صلى الله عليه وسلم فانه اذا سمع ان الامم السالفة
كانوا يعاملون انبياء الله بمثل هذه المعاملات سهل تحمل تلك السفاهة قال
تعالى وما خلقنا السموات والارض على مالها من العلو والسعة والارض على

مالها

ما لها من المنافع والغرائب وما بينهما من هؤلاء المشركين المكذبين وعذابهم
ومن المياه والرياح والسحاب المسبب عنه النبات وغير ذلك الا بالحق اي الا
خلقا متلبسا بالحق فيتفكر فيه من وفقه الله تعالى ليعلم النشأة الآخرة بالنشأة
الاولى وان الساعة اي القيامة لآتية لا محالة فيجازي الله تعالى لكل احد
بعمله ثم انه تعالى لما صبره على اذى قومه رغبه بعد ذلك في الصفح عن سيئاتهم
بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل اي اعرض عنهم اعراضا لا جزع فيه ولا
تعجل بالانتقام منهم وهذا منسوخ بآية السيف قال الرازي وهو بعيد
لان المقصود من ذلك ان يظهر الخلق الحسن والعفو والصفح فكيف يصير
منسوخا اهـ والاول جرى عليه البغوي وجماعة من المفسرين ثم علل تعالى
هذا الامر بقوله ان ربك اي المحسن اليك الآمر لك بهذا هو اي وحده
الخلاق اي المتكرر منه هذا الفعل العليم اي البالغ العلم بكل المعلومات
فليست اقوالهم وافعالهم الا منه سبحانه وتعالى لانه خالقها وقد علم انه
لا يضيع مثقال ذرة فاعتمد عليه في اخذ حقك فانه نعم المولى ونعم النصير
ولما صبره الله تعالى على اذى قومه وامره ان يصفح الصفح الجميل اتبع ذلك
بذكر النعم العظيمة التي خص الله تعالى افضل خلقه بها بقوله تعالى ولقد
آتيناك يا افضل الخلق بما لنا من العظمة والقدرة كما آتينا صالحا ما
تقدم سبعا يكون كل سبع منها كفيلا باغلاق باب من ابواب النيران
السبعة وهي ام القرآن الجامعة لجميع معاني القرآن التي امرنا باعادتها في
كل ركعة زيادة في حفظها وتبركا بلفظها وتذكرا لمعانيها تخصيصا لها
عن بقية الذكر الذي تكلفنا بحفظه والسبب في وقوع هذا الاسم
على الفاتحة لانها سبع آيات وهذا ما عليه اكثر المفسرين روي انه صلى
الله عليه وسلم قرأ الفاتحة وقال هي السبع المثاني رواه ابو هريرة
وقيل المراد سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال
وبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك لم يفصل بينهما باية البسملة
وقيل الحواميم السبع وقيل سبع صحائف وهي الاسباع وقوله تعالى
من المثاني صفة للسبع وهو جمع واحده مثناة والمثناة كل شيء يثنى
اي يجعل اثنين من قولك ثنيت الشيء تثنيا اي عطفته وضممت اليه
آخر ومنه يقال لركبتي الدابة ومرفقيها مثاني لانه يثني بالفخذ
والعضد ومثاني الوادي معاطفه اما تسمية الفاتحة بالمثاني
فلوجوه الاول انها تثنى في كل صلاة بمعنى انها تقرأ في كل ركعة الثاني
انها تثنى بما بعدها فيما يقرأ معها الثالث انها قسمت قسمين اثنين روي
انه صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى قسمت الصلاة بيني وبين
عبدي نصفين والحديث مشهور وقد ذكرته في وجه تسميتها صلاة هـ

Copyright ... University